



معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2022/07/10

تاريخ القبول: 2022/11/15

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

فهم خصائص العقل العربي من خلال أفكار مالك بن نبي

Understanding the characteristics of the Arab mind through the ideas of Malik bin Nabi

عايدي جمال

جامعة زيان عاشور (الجزائر)، d.aidi@univ-djelfa.dz

الملخص:

محاولات فهم مكونات الشخصية العربية وخصائصها، أو ما يسمى المظهر الجماعي للعقل كان موضوع اهتمام الكثير من المثقفين والكتاب ولعل من أبرزهم مالك بن نبي والذي من خلال أفكاره سنحاول تقديم تشخيصه للعقل العربي من خلال بعض كتاباته، وفي بدايتها قدمنا تعريفا للعقل وللعرب ونبذة مختصرة عن حياته، وقبل عرض أهم العناصر في هذه المقالة كان لا بد من تقديم للمنهج الذي استعان به وخاصة تلك الآراء المتعلقة بالنموذج الاجتماعي، ثم تناولنا العقل العربي في جانبه الاجتماعي والثقافي والديني كما تناولنا عقل الشباب العربي، ولم نهمل نقطة أساسية حذر منها مالك بن نبي وهي قضية الاستشراق، لنختتم بدواء عدد بن نبي مركباته يرى فيه العلاج وليس فقط إزالة الأعراض المرضية.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، العقل، العرب، العقل العربي

ABSTRACT

Attempts to understand the components and characteristics of the Arab personality, or the so-called collective appearance of the mind, has been the subject of interest by many intellectuals and writers, perhaps the most prominent of whom is Malik bin Nabi, who through his ideas we will try to present his diagnosis of the Arab mind through some of his writings. Before presenting the most important elements in this article, it was necessary to present the approach that he used, especially those opinions related to the social model. Then we dealt with the Arab mind in its social, cultural and religious aspect, as we dealt with the mind of the Arab youth, and we did not neglect a basic point that Malik Bennabi warned about, which is an issue Orientalism, let us conclude with the medicine of the number of Bennabi, whose compounds he sees in it as a cure, and not only the removal of pathological symptoms.

Keywords: Orientalism, Mind, Arabs, the Arab mind

1. مقدمة:

كان لظهور الإسلام وتأسيس الدولة الإسلامية الأثر الكبير على المجتمع العربي، فقد انتقل العالم العربي من الظلام والتخلف إلى النور والتقدم ومن دائرة المجتمعات التابعة إلى مركز قوة العالم؛ على الرغم من وجود إمبراطوريات ضخمة وقوية، فقد استطاع العالم العربي بفضل تمسكه بقيم الدين الإسلامي أن يهيمن تقريبا على العالم القديم والمتمثل في قارات آسيا، إفريقيا وأوروبا، ولكن ومع ابتعادهم زمنيا عن فترة الوحي وعن الرسول صلى اله عليه وسلم بدأت مظاهر الضعف والتفكك تظهر، فعاد العالم العربي والإسلامي إلى التخلف والتبعية بعد أن كان هو المسيطر والقائد، ما جعل الكثير من العلماء والفلاسفة والمفكرين والمصلحين وفي مقدمتهم مفكرنا مالك بن نبي يطرحون السؤال؛ لماذا نحن متأخر وغيرنا يتقدم؟

لذلك جاءت ورقتنا البحثية هذه لا لتجيب على هذا السؤال بل لتفتح المجال واسعا لكي يكون هذا السؤال في مقدمة انشغالات أساتذتنا وطلبتنا، وعلى ما نعتقد أن مجرد لفت الانتباه لهذا الانشغال والانصراف عن الانبهار بفلسفة وأفكار الغرب وديكارتيتهم كما يصف بن نبي، وعن مشروع الاستشراق لما له من خطورة كبيرة على قيم وثقافة مجتمعنا، فلفت الانتباه هذا يعد في حد ذات تطورا كبيرا، ومحاوله منا في هذا المسعى قدمنا بعض من أفكار وتأملات مالك بن نبي حول بنية العقل العربي، وكان تركيزنا خاصة على فئة الشباب لأنها الفئة الأكثر تأثر بثقافة الآخر وفي نفس الوقت هي مستقبل الأمة، رجأؤنا كبير في أن تكون هذه المساهمة مفيدة.

2. تعريف العقل:

بما أن كلمة العقل جزء من عنوان هذا المقال كان لا بد من تقديم تعريف له؛ ولأول وهلة يتبادر للأذهان السؤال هل يصح أن نعطي تعريفا لعقل مجموعة من الناس خاصة وأن هذا المفهوم يرتبط بشكل عام بخاصية فردية لدى الإنسان؟ لا شك أن الإجابة عن هذا السؤال ستتضح من خلال الإجابة عن السؤال ما هو العقل؟

في البداية فتعريف عقل جماعة من الناس هو أمر تجريدي، فالواقع يؤكد وجود عقول فردية فقط مرتبطة بالنفس والشخصية، وإذا قمنا بإسقاط هذا على ما هو مادي كجسم الإنسان فنحن عندما نريد التكلم عن الجسم البشري وأن نتلقى أبناء عن اكتشافات جديدة تتعلق بخصائص غير معروفة سابقا عن الجسم البشري، فإننا نقدم تعميمات تتعلق بالخصائص العامة والمشاركة بين أفراد المجموعة البشرية التي نصفها، سواء تعلق الأمر بشيء مادي أو معنوي.

وتشارك الدراسات التي تتعلق بالعقل الجمعي أو كما يُسمى بالشخصية النموذجية أو الشخصية القومية في أن أفراد المجتمع الذين ينشئون في بيئة مشتركة يبدو عليهم عامل مشترك قوي في شخصياتهم بغض النظر عن اختلافاتهم الفردية، فأية بيئة اجتماعية ثقافية تجعل الأفراد الذين يعيشون في نطاقها بثقافة موحدة تقريبا من حيث القيم، وأنماط السلوك، وغيرها من العناصر الثقافية الأخرى سواء المادية أو غير المادية، إضافة إلى الأنماط المختلفة لآلية الفعل ورد الفعل، فخلال مرحلة الطفولة، يقوم هذا العضو الشاب في المجتمع بإدخال التعاليم الأخلاقية ضمن صفاته الذاتية،

حيث تزرع فيه بواسطة الأبوين والمربين والمعلمين ورجال الدين وباقي الأشخاص الذين يمتلكون سلطة ما، وفي مرحلة مبكرة تقوم القنوات التي تجري عبرها عملية الزرع السابقة باستثمار السلوك الملتزم وعقاب السلوك غير المقبول، وبعد عدة سنوات يصبح نظام الثواب والعقاب متضمنا في الصفات الذاتية بما يكفي لإنتاج ما يدعوه فرويد بالأنا الأعلى، والتي تستلم زمام القيادة لإكمال ما بدأتها العوامل الخارجية، وبذلك يصبح الفرد الذي أجريت له عملية ثقافية واجتماعية ناجحة ممثلا حقيقيا عن بيئته الثقافية والاجتماعية وأُموذجا لجميع أفراد المجموعة أو المجتمع الذي ينتمي إليه، وعليه فإن العقل الجمعي هو الناتج الإجمالي للحوافر والطبائع والمعتقدات والقيم التي تشاركها الأغلبية في أية مجموعة بشرية قومية (باتاي، 2009، صفحة 13).

3. تعريف العرب:

أطلقت كلمة عرب قبل الإسلام على سكان شبه الجزيرة العربية والصحراء السورية، وأقدم ذكر لهذه الكلمة كان في التراث الآشورية (حضارة بلاد الرافدين بالعراق حاليا) سنة 854 ق.م وحسب ذات التراث كان العرب من بدو الصحراء الذين يرعون الجمال، وخلال القرون الثمانية والعشرين التي تلت لم يتوقف الارتباط بين العرب والصحراء أبدا، ولقد قام ابن خلدون في القرن الرابع عشر، باستعمال كلمة العرب، وبعد ظهور الإسلام، اكتسبت كلمة العرب معنى ثانيا فقد جاءت لتدل على جميع الشعوب التي تخلت عن لغات أسلافها وتبنت اللغة العربية بعد أن اعتنقت الإسلام، وفي المقابل فقد العرب الذين فتحوا المناطق الجديدة خصائصهم القبلية الأصلية، واستقروا وأصبحوا من سكان المدن، ولكن مصير اللغة العربية في هذه البلدان الجديدة اختلف من مكان لآخر (باتاي، 2009، صفحة 4).

ولكن ورغم هذا الاختلاف في سيادة اللغة العربية في هذه الأراضي إلا أن العديد من البلدان تضاءلت تدريجيا، وأصبح من الصعب التمييز المباشر بين السكان الأصليين والفاحين العرب إلى أن اختفت، ومع مرور الزمن أصبح العرب المكون البشري الغالب في مناطق واسعة تمتد من شمال إفريقيا وجنوب غرب آسيا.

ولقد سعى الكثير من العلماء، عربا وغربيين، إلى الإجابة على هذا السؤال: من هم العرب؟ وكانت الإجابات غالبا ما تتضمن واحدا أو أكثر من المعايير التالية: العرب هم من يتكلمون اللغة العربية، ونشؤوا في البلدان العربية، ويؤمنون بتعاليم النبي مُحَمَّد ﷺ، ويفتخرون بتراث الحضارة العربية وينتمون إلى أحد الشعوب العربية، والحقيقة إن التمعن في هذه المعايير يقودنا إلى أن المعيار اللغوي لوحده يعبر بشكل جيد عن كل العرب، ويقف حاجزا أمام أي عناصر عرقية أخرى من الانتماء إلى مسمى عرب، فالأشخاص الذين يتكلمون اللغة العربية كلغة أم ربما يكونون قد نشؤوا في بيئة غير عربية (كالثقافة الفرنسية في شمال إفريقيا) لكنهم يعتبرون أنفسهم عربا ويعتبرهم الآخرون كذلك، وهم قد يقيمون في بلدان غير عربية ولكن يمكن الإشارة إلى أن هناك أفراد يحققون كل أو بعض المعايير المذكورة ولا يعدون من العرب، ومثال ذلك المسيحيون في مصر، واليهود في كافة الدول العربية (باتاي، 2009، صفحة 3، 4).

وتجنى لكل التباس يقترح جبرا إبراهيم جبرا، وهو ناقد وروائي وشاعر بغدادي، التعريف التالي: العربي هو كل من يتكلم اللغة العربية باعتبارها لغته الأصلية، ولذلك يحس بأنه عربي (باتاي، 2009، صفحة 5).

4. من هو مالك بن نبي؟

ولد مالك بن نبي سنة 1905 بقسنطينة وهي مدينة جزائرية، ويذكر مالك بن نبي نفسه؛ أنه عندما كان في السادسة أو السابعة من عمره كان وضع عائلته المادي سيئاً ونتيجة ذلك هاجر جده لأبيه إلى طرابلس الليبية (بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، 1948، صفحة 16)، ويصف مالك المجتمع القسنطيني آنذاك بأنه بدأ يتصعك من فوق ويسوده الفقر من تحت، وكان لهذه التغيرات أثرها الأخلاقي والاجتماعي والنفسي خاصة على المسنين ورغم ذلك بقي والده في تبسة ولم يرحل مع جده وعمه؛ وما زاد من معاناة بن نبي موت عمه الأكبر الذي كان يتبناه (بن نبي، 1948، صفحة 18).

ما دفع زوجة عمه لتعيده لأسرته في تبسة فعاش طفولته هناك، ويذكر مالك بن نبي أنه من شدة الفقر دفعت أمه سيرها الخاص كمقابل تدريسه في الكتاب لمعلم القرآن (بن نبي، 1948، صفحة 19)، وبالموازاة مع التعلم في الكتاب الذي كان قبل الثامنة صباحاً يقول بن نبي أن أهله أرسلوه إلى المدرسة الفرنسية ليتلقى تعليماً آخر بعد الثامنة، ما جعل الأمر صعباً بالنسبة له مما دفعه للتغيب عن الكتاب ما عرضه للعقاب الأمر الذي جعله يكره مدرسة القرآن والتي لم يتجاوز فيها سورة سبح (بن نبي، 1948، صفحة 24).

ويواصل مالك في مذكرات شاهد للقرن أنه تابع الدراسة في المدرسة الفرنسية والتي كان متفوقاً فيها على باقي زملائه؛ وقد كان يحمل ذكرى حانية لمعلمته مدام بيل لدرجة اعتبارها أما له، ولم يمنع كل ذلك بن نبي التردد على المسجد وخاصة المشاركة في صلاة الجمعة (بن نبي، 1948، صفحة 25)، ويلخص بن نبي حياته في تبسة وقسنطينة بقوله؛ كنت أرى الأمور في تبسة من زاوية الطبيعة والبساطة أما في قسنطينة فقد أخذت أرى الأمور من زاوية المجتمع والحضارة واضعاً في هذه الكلمات محتوى عربياً وأوروبياً في آن واحد (بن نبي، 1948، صفحة 36).

ويواصل مالك بن نبي سرد حياته؛ إذ يذكر أنه انتقل إلى باريس سنة 1930 مقرراً أن لا يعود إلى الوراثة (بن نبي، 1948، صفحة 203)، وأول معهد التحق به كان معهد الدراسات الشرقية وبعد ذلك قرر أن ينتسب إلى درجة مساعد مهندس ويذكر أن فترة دراسته في مدرسة اللاسلكي فيما بعد قد غيرت فكره جذرياً، إذ فتحت له باب عالم جديد يخضع فيه كل شيء إلى المقياس الدقيق للكم والكيف ويتسم فيه الفرد بميزات الضبط والملاحظة، وكانت هذه الخطوة الأولى التي يدخل فيها الحضارة الغربية، والدخول في مرحلة تحصيل العلم بلهفة من يرى أنه من مجتمع جاهل يعاني أصناف الانحطاط (بن نبي، 1948، صفحة 219).

وبالرغم من وجود بن نبي في فرنسا لم ينسبه ذلك وطنه الجزائر فكان دائماً ما يعبر عن أفكاره الإصلاحية وأفكاره الوطنية وجهه بموقفه ضد الاستعمار، ويذكر مفكرنا مالك أن فرنسا كانت بالمرصاد لكل مشروع أو فكر يعارض نزعتها الاستعمارية (بن نبي، 1948، صفحة 227)، وقد كان بن نبي منظرًا للثورة التحريرية وأكثر من ذلك فأعتبرها ترجمة ميدانية لأفكاره، كما خصص لها كتاباً سماه في مهبط المعركة ولم يكتبه بالتنظير فقط بل عرض خدماته على قادة الثورة في الخارج لما كان في مصر، ولم يتوان في فضح مخططات فرنسا الاستعمارية والعنصرية من خلال كتاباته

مثل مؤلف النجدة للجزائر، الشعب الجزائري يباد، كما خص الإذاعة المصرية عبر برنامج صوت العرب بتدخلات عن الثورة التحريرية الجزائرية (أعراب، 2015، صفحة 12).

وإلى جانب هذا فقد واجه بعض زعماء الثورة خاصة أولئك الذين يدعون إلى الاندماج في الكيان الفرنسي أو يدعون إلى العلمانية (بن نبي، 1992، صفحة 122)، ورغم حداثة سنه إلا أن بن نبي أدرك أن النخبة الإسلامية قد استولى عليها حب الظهور في المراتب السياسية لذلك أضاعت الكثير من الوقت بل زادوا في تأزم الوضع السياسي والاجتماعي والفكري (بن نبي، 1948، صفحة 228).

ويذكر مالك في موضع آخر من كتاب مذكرات شاهد للقرن أنه تزوج عام 1931 بأوربية غير اسمها إلى خديجة والتي تولت زمام حياته المادية في البيت، ليتفرغ هو للدراسة (بن نبي، 1948، صفحة 236)، ويضيف أن أول محاضرة ألقاها نظمت بإحدى القاعات الموجودة في حيه في نهاية سنة 1931 وكان عنوانها لماذا نحن مسلمون؟ ودارا موضوعها حول تاريخ الشمال الإفريقي؛ وقد أثارت هذه المحاضرة وما أتبعها من تعقيبات جدلا والكثير من الإعجاب لتعلن عن ميلاد فيلسوف ومفكر عربي بارز اسمه مالك بن نبي (بن نبي، 1948، صفحة 238).

وفي سنة 1954 انتقل إلى القاهرة للمشاركة في ثورة التحرير، مما أتاح له إتقان اللغة العربية والمشاركة في العديد من اللقاءات العلمية في منزله بالقاهرة لشرح ونشر أفكاره ومؤلفاته، فكانت هذه المرحلة من حياته أكثر نشاطا وتأليفا، ولأنه لم ينجب من زوجته الأولى تزوج بزوجته الثانية وهي جزائرية بعد إلحاح أهله وقد رزق منها بثلاث بنات (عبد الله بن حمد العويسي، 2012، ص 125).

وفي تلك الفترة زار الكثير من الدول العربية مثل سوريا، لبنان والكويت لإلقاء محاضراته وللترويج لأفكاره، وبعد الاستقلال مباشرة وبالضبط في سنة 1963 عاد إلى الجزائر ليعين في وزارة التعليم العالي لكنه لم يلبث طويلا في هذا المنصب ليتفرغ للعمل الفكري؛ حتى وفاته 31 أكتوبر 1973 بنات (عبد الله، 2012، صفحة 139).

ويمكن القول أن ثقافة بن نبي كانت في جزء منها غربي ذلك أنه قضى وقتا غير يسير كتلميذ في المراحل الدراسية الأولى في الجزائر وفق المناهج الفرنسية أو كطالب في الدراسات العليا في فرنسا، أخذ معارفه وطريقة تفكيره وحتى نمط معيشتته منها؛ ولكنه لم ينساق وراء مرامي هذه المناهج التي تسعى إلى إنتاج أفراد موالين ومدافعين عن حضارة غير حضارته؛ ويعكسون طموح مجتمعه وثقافته، بن نبي طوع هذه الأدوات والمعارف باقتدار وإبداع لتخدم أفكاره ومشروعه الذي سعى إلى تجسيده في أرض الواقع، والذي تمثل في تشخيص الحالة العربية والإسلامية وفحص مواطن الضعف والاختلال وإيجاد العلاج اللازم للخروج من دائرة الأمم المنقادة والمتكلمة على غيرها؛ لتصبح حضارة قائمة بذاتها مهابة الجانب وخاصة من الناحية الفكرية والثقافية، وهذا في وقت كانت البلاد العربية والإسلامية بدون قيمة وتصنف دائما في آخر مراتب العلم والحضارة والقوة؛ حتى من أبنائها (بريون، 2010، صفحة 23).

ولكن بن نبي كان المدافع والمنافع عنها دوما حتى في أكثر الأوقات ضعفا طالما افتخر بها وبالانتماء إليها، وأكثر ما حز في نفسه وآلمه كثيرا هو اعتباره مواطنا من الدرجة الثانية في بلده، فقد عمد الاستعمار الفرنسي في الجزائر إلى تقسيم السكان في الجزائر إلى مواطنين يتمتعون بكل الحقوق والامتيازات وهم المعمرين الأوربيين المقيمين في الجزائر؛ والسكان الأصليين أطلق عليهم أهالي محرومين من كل الحقوق.

وبالنسبة لموقف مالك بن نبي من العقل العربي يرى أن هذا الأخير نام نوما طويلا ولا يزال مجهل أسباب وعوامل هذه الغفوة الطويلة إذا ما قسناها بأعمار الحضارات، ما جعل هذا العقل ينغلق عن نفسه ويبقى متمسكا بمعتقداته وطرق تفكيره دون الانخراط في منظومة العلم الحديثة، ويستدل على ذلك من خلال استقرائه خاصة للخطاب الديني الذي لطالما اعتمد على قراءات واستنتاجات حول النص الأساس وهو القرآن لا على القرآن ذاته؛ أي أن العقل العربي لا يجتهد بل يتك من يفكر ويستنتج له كأن هناك اغتراب بين العقل والنص الأساس.

هذا جزء من حياة المفكر مالك بن نبي ارتأينا أن نبدأ بها هذا المقال لعلاقة ذلك بموضوعنا الأساسي؛ خصائص العقل العربي في فكر مالك بن نبي.

5. منهج مالك بن نبي:

قبل أي تشخيص للعقل العربي في فكر مالك بن نبي لابد من توطئة بسيطة لتفسير أفكاره ولاسيما الأدوات المنهجية والمفاهيم التي استعملها، والتي من خلالها يمكننا تقديم العقل العربي من وجهة نظره، وإذن مالك ينطلق من نقد لأغلب آراء المصلحين في العالم الإسلامي من حيث أنهم لا يرون الأمور بصورة كاملة، فهم يجتزئون من الواقع إلا جزء منه ولذلك نجد تشخيصهم خاطئ وبالتالي تكون حلولهم غير مجدية.

ولتخطي هذه المشكلة تبنى مالك بن نبي قواعد تفكير كلية تمكنه من تفسير الواقع الاجتماعي، أدوات منهجية غير معهودة لتفسير الواقع والتاريخ، تتمثل في النماذج الاجتماعية وهي من وجهة نظر ريدينغ (Reading) فإن النماذج الاجتماعية لا يتم تعريفها من الداخل من قبل المجتمع بل من الخارج من قبل علماء الاجتماع، فالنموذج الاجتماعي هو وصف موجز وموضوعي لخصائص صنف من الأشخاص (عمران، 2011، صفحة 281)، ويستخدم النموذج الاجتماعي كأداة تحليلية لعلماء الاجتماع (عمران، 2011، صفحة 283).

ويظهر النموذج الاجتماعي والذي هو بمنزلة نموذج مثالي من أجل تحليل السمات المميزة لنموذج معين من الأفراد، وبهذا يكون النموذج الاجتماعي العينة المثالية لمجموعته الثقافية أو النموذج الأولي لسلوك بشري خاص وطرائق تفكير معينة (عمران، 2011، صفحة 284).

فكانت أهم أفكاره التي يفسر عبرها الواقع الاجتماعي هي مفهومه عن ما يسميه العوالم الثلاثة؛ عالم الأفكار، عالم الأشخاص وعالم الأشياء، فهذه العوالم هي في الأساس ثلاث منظومات نظرية تتجلى في كل الظواهر الإنسانية والاجتماعية، ولكن لا يمكن فصلها إلا من الناحية النظرية، ولا تكون مترافقة مع بعضها البعض إلا بقدر

معين وقد يغلب أحد هذه العوالم الثلاثة على الظاهرة محل الدراسة ويشكل الأساس المركزي لها، ويفسر مالك العوالم الثلاثة بتمثيلها على الإنسان منذ طفولته (عودة، 2018، صفحة 1).

فعندما يرى الإنسان النور تكون العوالم الثلاث الأشياء، الأشخاص والأفكار منتظمة حوله وغريبة عنه، ويبدأ يشعر حوله بعالم الأشياء ممثلاً في يده وأصابعه وبالمصباح المعلق فوقه، وفي هذه المرحلة لا يكون لديه أي إدراك بعالم الأشخاص حيث لا يتعرف حتى على وجه أمه والتي لا تمثل له سوى الثدي الذي يرضع منه ولا حتى على أنه أي نفسه كما يصفها بن نبي، وشيئاً فشيئاً يبدأ يتعرف على الوجوه وأولها أمه بالطبع، ثم بقية أسرته ويبدأ بالاطمئنان إلى هذا العالم أي عالم الأشخاص الذين هم من معارفه أم غيرهم فتكون له تجربة قاسية خاصة عندما يتصل بهم لأول مرة في الشارع أو المدرسة، ولا يندمج معهم إلا تدريجياً.

ويؤكد هنا مالك بن نبي أن المنفتح يكتشف عالم الأشخاص بسرعة أكثر من النموذج المغلق، وهذا الأخير يكتشف ربما بسرعة أكبر عالم الأفكار، حتى إذا ما نضج قليلاً فإنه يعي ويفهم الأمور المجردة من كل ما هو مادي، فيبدأ بالتعامل مع الأفكار المجردة وتكوين رأي خاص به ويكون مقدار ذكائه في مقدار ما يستطيع من التخلص من ربط هذه الأفكار بالأشخاص والأشياء وتكوين مفاهيم مجردة مستقلة عن العالمين السابقين عالم الأشياء وعالم الأشخاص (بن نبي، مشكلات الحضارة؛ مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، 2002، صفحة 20، 21).

ويقصد بن نبي بعالم الأفكار مجموعة المعتقدات والمسلمات والتصورات والمبادئ والنماذج التي تحتويها عقول مجتمع ما في لحظة تاريخية ما، ويدخل في هذا العالم أيضاً كل أنماط التفكير والقيم والمشاعر والأحاسيس، ويرتبط هذا العالم بالمجردات من الأفكار والقيم التي لا تتأثر بالأشياء ولا بالأشخاص بقدر ما تؤثر فيها، وهذا هو العالم الذي ينبغي على الإنسان أن يدخله فيرفع من مستواه الحضاري والإنساني، أما عالم الأشخاص فيقصد به مجموعة العلاقات والنظم والاتصالات والقوانين التي تنظم حياة الأشخاص الذين يكونون هذا المجتمع فيما بينهم، وأما عالم الأشياء فهو كل ما ينتجه هذا المجتمع من مبان وشوارع وزراعة وصناعة، وغير ذلك من المنتجات والخدمات المحسوسة والملموسة، فعالم الأشياء يقوم على الماديات والملموسات بالحواس الخمس؛ لذلك كان الإنسان البدائي أقرب شيء إلى الأشياء من أي عالم آخر، والمجتمع في رحلة صعوده ينتقل بين العتبات الثلاث من عالم الأشياء إلى عالم الأشخاص ليقفز في النهاية إلى عالم الأفكار (ويب، 2009، صفحة 1).

6. العقل العربي في جانبه الاجتماعي:

قدم مالك بن نبي من خلال كتاباته تحليلاً مفصلاً عن جوانب كثيرة في العقل العربي، ولا سيما ما يتعلق بشبكة العلاقات بين أفراد المجتمع والتي تشكل بنائه الاجتماعي والثقافي، ولتوضيح ذلك أجرى مقارنة بين المجتمع العربي واليهودي؛ فيذكر أنه لما أصدرت الحكومة الفرنسية في الكثير من المناطق قوانين استثنائية تحرم أبناء الطائفة اليهودية من التعليم في مختلف المراحل الدراسية، شعرت هذه الطائفة بأن أبنائها أصبحوا مهددين بخطر الأمية، فيذكر بن نبي أنهم لم يقوموا بأي احتجاج أو اعتراض لدى السلطات؛ بل بحثوا عن حل هذه المعضلة في ما عندهم من إمكانيات دون الالتفاف لأي كان، فأول تصرف قاموا به هو اجتماع حكمائهم ومثقفهم لدراسة الوضع والخروج

بموقف موحد وفعال، وكان الحل في أن يتطوع كل من له القدرة على تقديم تعليم في أي مستوى تعليمي ابتدائي أو ثانوي أو جامعي، وبذلك استطاعوا أن يحولوا بيوتهم إلى مدارس وجامعات، إلى أن انتهت الحرب العالمية وزالت القوانين الاستثنائية دون أن تحقق هدفها في النيل من المجتمع اليهودي هذا الأخير الذي استطاع باقتدار أن يحافظ على كيانه ويحمي نفسه بنفسه بدون مساعدة الغير (بن نبي، مشكلات الحضارة؛ تأملات، 2002، صفحة 145).

ويعلق بن نبي على هذه الصورة بقوله أنها تمر بخاطره حينما يضع مشكلة الثقافة نصب عينيه؛ وأنها توضح له الفرق بين موقف النخبة العربية الجزائرية وموقف النخبة اليهودية من قضية واحدة والمتمثل في خطر الأمية، ويرى أن الأسباب التي أدت إلى الاختلاف في الموقفين لا ترجع أمر مادي لأن الوضعية لكلا الجانبين كانت قاسية، كما لا ترجع إلى قضية علم وتعليم فلا فرق واضح بين المستوى العلمي للنخبة العربية الجزائرية والنخبة اليهودية، ويقرر بن نبي أن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء الاختلاف في الموقفين الجزائري اللافعل واليهودي الفعال هو أن المجتمع العربي يفتقد لشبكة من الاتصالات الثقافية؛ فالأفراد الذين يمكن أن يساهموا ماديا في القيام بمشروع مثل هذا لا يشعرون بأهميته، بل أنهم يقدمون قضية شراء سيارة فخمة على مشروع ثقافي (بن نبي، مشكلات الحضارة؛ تأملات، 2002، صفحة 146).

7. العقل العربي في جانبه الثقافي:

شغلت الناحية الثقافية في العقل العربي كثيرا بال مفكرنا الجزائري مالك بن نبي؛ لذلك أخذت جهدا كبيرا وحيزا واسعا من صفحات كتبه، ويذكر أنه عندما يعالج حال الثقافة في الفكر العربي بهذه القسوة والهجوم يبدو أنه غير موضوعي، ولكن الحقيقة أنه حدد موقفه بناء على معايشة وتجربة شخصية، ويسرد هنا تجربة مر بها تبين مكانة الثقافة في عقولنا العربية والإسلامية؛ يقول أنه كان لأجل تحصيل ونشر جهده الفكري والعلمي من خلال ترجمته إلى اللغة العربية طلب من الكثير من الشخصيات بأن يضطلعوا بمهمة ترجمة كتبه على نفقتهم، فأرسل نسخة من أحد كتبه مع كل التفاصيل اللازمة إلى ملك عربي عليم أنه يتقرب إلى الله ونسخة أخرى إلى ملك كان يُظهر حبه للعلم والعلماء؛ ونسخ أخرى لبعض سفارات دول عربية وإسلامية في فرنسا، ومرت سنوات طويلة دون أي نتيجة، ويخلص بن نبي من هذه التجربة إلى أن هناك اختلال واضح في الحياة الثقافية في البلاد الإسلامية العربية، ويؤكد افتقارنا إلى أبسط الشروط الأساسية التي تقودنا إلى حركة ثقافية حقيقية، ويقرر واقع آخر وهو عدم وجود دفء إنساني يُشعر الكاتب بقيمته ودوره القيادي عبر جواب شكر يشجعه ويدفعه لأجل تنفيذ مهمته في المجتمع، فالتقدير المادي والمعنوي شرطان أساسيان للحياة الثقافية في أي مجتمع (بن نبي، مشكلات الحضارة؛ تأملات، 2002، صفحة 241).

وينتقل بن نبي إلى أوروبا ليُرينا بعض المظاهر في هذا السياق؛ ويذكر أن النهضة الأوربية وما أنتجتة ولاسيما ما تعلق بالطباعة التي انتشرت في الكثير من الدول الأوربية، قد أسهم بشكل مباشر وكبير في تعميم العلم وانتشار الأفكار، وقد شارك في ذلك علماء من كل أنحاء أوروبا ولو مثلنا كل عالم أو مساهم بنقطة للمنطقة التي ينتمي إليها نحصل على خريطة أوربية مليئة بالنقاط في جميع أنحاءها، ويضع بن نبي هذا التشبيه ليبين لنا مدى التعاون والتنسيق بين

أفراد المجتمع الأوربي والذي أطلق عليه شبكة الثقافة الأوربية (بن نبي، مشكلات الحضارة؛ تأملات، 2002، صفحة 243).

هذه الصورة التي قدمها مالك بن نبي كانت في عصر النهضة ولكن هل اختلف الأمر في القرن العشرين (القرن الذي عايشه بن نبي) يؤكد مالك أن الوضع لم يختلف فالخريطة هي نفسها لم تتغير بل توسعت، سواء تعلق الأمر بطبع الكتاب المقدس أو باختراع الراديو أو بأي إنتاج فكري آخر، فهذه الخريطة تمثل شبكة العلاقات الثقافية في البلاد الأوربية، ولذلك يمكننا أن نقر أن المجتمع العربي الإسلامي بدون شبكة علاقات ثقافية ولا يلوح في الأفق القريب أو المتوسط بأنها ستتشكل، لعدم اهتمام الشخصيات المؤثرة في البلاد العربية بالموضوع.

8. العقل العربي في جانبه الديني:

يعتقد بن نبي أن مشكلة العقل الأساسية في الوقت الحاضر لها صلة وثيقة بالجانب الديني؛ وتتمثل في تجديد العقيدة والإيمان القابل للقيام من جديد بإقامة الوحدة المعنوية للأمة العربية الإسلامية، ويجب أن يكون هذا التجديد مدعوم بالفعالية والقوة الحضارية والحيوية الاجتماعية.

ويرى بن نبي أن الجهود الفكرية للمصلحين الدينيين والمضطلعين بالمهام الدينية اتسمت في معظمها بالجدال والدفاع، بدل أن تكون أفكارهم ملهمة ومحركة للوجدان نحو النهوض الحضاري؛ وحتى أكثر الهيئات قيمة عند بن نبي يرى أنها كانت بعيدة عن هذا التوجه فهي الأخرى اتبعت أسلوب الجدل، ولعل أهم أسباب فشل المصلح. من وجهة نظر بن نبي هو أنه غير ملتزم وكان عليه أن يبدأ بإصلاح نفسه أولاً، فالمصلحون متخصصون بارعون بدل من أن يكونوا مصلحين مخلصين، ولكن بن نبي لم يمنعه هذا الانتقاد من أن يحسب لحركات الإصلاح فضلها في إيقاظ العقل العربي الإسلامي، بالإضافة إلى أنها اعتمدت على العقل إلى جانب النقل كما أنها أوجدت جوا من النقاش الفكري وتجلت في ظهور بعض المؤلفات مثل؛ كتاب الرد على الدهريين لجمال الدين الأفغاني وكتاب رسالة التوحيد لمحمد عبده (أعراب، 2015، صفحة 76).

وعلى الرغم من التنويه والإشادة بأفكار جمال الدين الأفغاني الثورية وبالفكر العقلاني لمحمد عبده وبفضل فكر عبد الحميد بن باديس الذي سمح لنا بأن نميز بين الإسلام الحقيقي وما شابه من شوائب؛ على الرغم من كل ذلك إلا أن بن نبي يرى أن الإصلاح الديني الذي عرفته البلاد العربية كانت تنقصه الفعالية في التغيير والحركة؛ فقد بقي حبيس المناقشات الأدبية ما جعله ينمو شكلا لا موضوعا وميدانا، واتجه نحو تراكم الأفكار بدل التجديد والبناء فانصرف المصلحون عن دورهم الحقيقي وتخلوا عن أمانتهم حينما اتجهوا إلى الميدان السياسي طمعا في مناصب وامتيازات مادية ومعنوية، ويستثني هنا مالك بن نبي الفكرة الوهابية لأنها كانت تحمل معها طاقة متحركة لتحرير العالم الإسلامي المنهار لذلك كان الاستعمار ينجسها، وللأسف تدخل الاستعمار لإيقاف إشعاعها الروحي باستخدامها في اللعبة الإيديولوجية للمستعمر وفي اللعبة السياسية لآل سعود بعد الملك عبد العزيز فتحولت إلى وثن على حد تعبير بن نبي،

كما أثارت حركة الإخوان المسلمين التي أسسها حسن البنا إعجاب بن نبي وكانت مصدر تفاؤل بالنسبة له خاصة وأن بفضلها تجددت القيمة القرآنية في ذاتها فصارت ناشطة ووسيلة للتغيير (أعراب، 2015، صفحة 77).

ويقدم بن نبي من خلال تجربته داخل وخارج الوطن حلا للخروج من تبعية الخارج في جانبها الروحي، يتمثل في استيعاب المسلم المعاصر لدوره الحقيقي ورسالته الأساسية وأن يغير نفسه من الداخل؛ ويقوم بتجديد حضارته فيرتقى إلى مصاف المجتمعات المتحضرة على غرار المجتمع الأوروبي، وبعد ذلك يُكمل هذا التحضر المادي بالبعد الروحي المتمثل في رسالة الإسلام، فترفع هذه الأخيرة الحضارة الإنسانية إلى قداسة الوجود وإلى الغاية الحقيقية المنشودة، وبهذا ينقذ المسلم نفسه والآخرين معه، وليتم ذلك لا بد أن يُحقق المسلم شروطا هي (أعراب، 2015، صفحة 93):

- أن يعرف نفسه
- أن يعرف الآخرين دون تعال أو تجاهل
- أن يُعرّف الآخرين بنفسه بعد تصفيتها من رواسب القابلية للاستعمار ومن التخلف

ويضيف بن نبي أن على المسلم أن يحمل رسالة الإسلام العالمية من خلال ما قدمته لأنسنة الإنسان ومن خلال ما يمكن أن تقدمه أيضا بشرط أن يحمل هذه المهمة ذوي همم عالية وضمان حية ووفية لواجبها الفعلي والمتمثل في التبليغ.

9. عقل الشباب العربي:

يرى مالك بن نبي أن العقل الذي يفكر به شبابنا العربي اليوم والذي يريد أن يصل به إلى منطقة تريح تساؤلاته، وتطمئنه إلى صدق القرآن والإيمان الذي لا يدعو إلى أي مجال للشك برسالة محمد بن عبد الله ﷺ؛ هذا الأمر هو أصل المشكلة التي لطالما حاول بن نبي الحديث عنها، ويؤكد هنا مفكرنا أن العقل هو نفسه عند الجميع فهو منحة من الله لكل البشر، ولكن الاختلاف يكون في طرق التفكير واستعمال هذا العقل الذي يكتسبه الإنسان من تربيته وثقافة مجتمعه ومن تجارب حياته، ولذلك لا بد من تدبر أمر العقل وأن نحاول أن نفهمه جيدا لكي نحدد المنهج الصحيح الذي يقودونا لنتائج صحيحة لأي دراسة، ويؤكد أن المعارك الحربية ليست وحدها التي يخوضها الإنسان بل هناك معارك عقلية ميدانها ليس ساحات الوغى بل ميدانها الثقافات والحضارات المتنوعة والمختلفة (بن نبي، 2000، صفحة 19).

ولذلك ينبغي أن ندرك أن التطور الثقافي في العالمين العربي والإسلامي يمر بمرحلة خطيرة، لأننا نتلقى أفكارنا عن الثقافة الغربية والتي بات يتعود عليها شبابنا شيئا فشيئا ويتأثر بها فكريا ونفسيا وكل ما يتعلق بالحياة الروحية، ومن الخطير والعجيب في نفس الوقت هو أن شبابنا المثقف المسلم أصبحوا يتلقون عناصر ثقافتهم المتعلقة بمعتقداتهم الدينية ودوافعهم الروحية من أراء المتخصصين الأوروبيين (بن نبي، 2000، صفحة 54).

ولذلك خصص مالك بن نبي كتابا عن الظاهرة القرآنية كتبه باللغة الفرنسية وتمنى لو يترجم إلى اللغة العربية؛ وقد وجهه للشباب العربي المسلم المتعرض لبعض الأفكار الهدامة، وقدر أن لن يصل إليه ما لم يترجم إلى اللغة العربية، إضافة إلى تحصيل الكتاب من الضياع حتى لا يضيع بعد وفاة الكاتب (بن نبي، مشكلات الحضارة؛ تأملات، 2002، صفحة 141).

ولا شك أن تأثير دراسات المستشرقين على الفكر الديني لدى شبابنا الجامعي واستشهادهم بالمصادر الغربية حتى فيما يخص معارفه الإسلامية وولعهم بالمنهج الوضعي الديكارتي؛ أكبر دليل على ما نقول (بن نبي، 2000، صفحة 55).

ولذلك ولما فهم العدو هذا الأمر جيدا استطاع أن يجعل معاركه معنا معارك ثقافية بالدرجة الأولى، ولم يكن هدفه فيها استبدال ثقافة بثقافة أو استبدال ضلالاً بهدى أو استبدال باطلاً بحق؛ وإنما كانت غايته أن يجعل ميدان الثقافة في عالمنا العربي الإسلامي مليء بالجرحى ومنهوكي القوى لا تقوم لهم قائمة، وينصب في أنحائها عقولا لا تدرك إلا لما هو مبرمج لها (مالك بن نبي، 2000، ص 21).

10. الاستشراق والعقل العربي:

يعتقد مالك بن نبي أن محنة العقل العربي والإسلامي سببها الرئيسي سلاح الاستشراق إذ يرى أنه أقوى وأنجع أسلحة العدو الموجهة لتهديم بعض جوانب الثقافة، وما يزيد من خطورته وتأثيره هو أن المسلمين لم يدرسوه ولم يتبعوا تاريخه ولم يكشفوا مكائده وأضاليه ولم يستقصوا أثره في نواحي حياتهم الثقافية، والأخطر من كل ذلك هو أن مفكرينا يتلقونه على أنه علم على طالب العلم أن يأخذ منه وثقافة لا بد منها، وأن الدراسات الإسلامية والتي تظهر في أوروبا بأقلام المستشرقين واقع لا جدال فيه (بن نبي، 2000، صفحة 54).

الأمر الذي أثر في تاريخنا الحديث وفي سياستنا وفي عقائدنا وفي كتبنا وفي ديننا وفي أخلاقنا وفي صحافتنا ومدارسنا وفي كل أقولنا وأعمالنا أي تشمل أمور كثيرة لا يمكننا إحصائها (بن نبي، 2000، صفحة 22).

ويضيف مالك أن الاستشراق من أعظم الأسباب خطرا على العقل العربي الحديث، الذي يريد أن يدرك دلائل إعجاز القرآن إدراكا يرضى عنه ويطمئن إليه، فالاستشراق أوقع الشك في الأصول القديمة التي قدمت أدلة إعجاز القرآن وأتى بأساليب غاية في الدهاء والمكر أدت إلى التشكيك في الوسائل الصحيحة للبرهنة على النصوص من حيث جودتها، ويستشهد بن نبي هنا بالقضية الغربية التي عرفت بقضية الشعر الجاهلي والتي أثارها المستشرق مرجليوث وكيف كان أثرها في العقل العربي الحديث، إذ قدم هذا المستشرق تفسيراً قائم على الموازنة الأسلوبية معتمدا على الشعر الجاهلي بوصفه حقيقة لا تقبل الجدل (بن نبي، 2000، صفحة 22).

وما يجعل للاستشراق تأثير كبيرا على العقل العربي هو عدم اقتضاره على الجانب العلمي، فالتمعن في كتابات المتخصصين الأوروبيين التي تتناول الدراسات الإسلامية يستطيع بكل أسف أن يكشف الهوى السياسي والديني لديهم على الرغم من أنها تظهر بمظهر المحلل والمدقق الحريص على إظهار الحقيقة (بن نبي، 2000، صفحة 55).

ومن أمثلة كثيرة نلاحظ المستشرق الألماني الأب لامانس الطاعن في الإسلام ورجاله، فعمله الذي وصفه بن نبي بالصامت ركز فيه على تقويض دعائم الإسلام وكان له الفضل في الكشف عن بغضه الشديد للقرآن ولمحمد صلى الله عليه وسلم، على عكس الكثير من المستشرقين الآخرين الذين كانوا يَحْتَبِئُونَ وراء ستار العلم.

11. خاتمة:

قدمنا في هذا المقال فهم مالك بن نبي لخصائص العقل العربي بالعرض والتحليل والمناقشة؛ وذلك من خلال ما توفر لنا من تراث سواء كان من إنتاج مالك بن نبي نفسه أو عبر مؤلفات من كتبوا عنه، فقبل أن نحوض في ذلك تعرضنا لتعريف مفاهيم متغيرات عنوان المقال، فبدأنا بمفهوم العقل وأكدنا على أن هذا المفهوم تجريدي لأن العقل يرتبط بشكل عام بخاصية فردية لدى الإنسان، ويشير العقل هنا إلى العامل المشترك القوي في شخصيات أفراد المجتمع بغض النظر عن اختلافاتهم الفردية فالعقل الجمعي هو الناتج الإجمالي للحوافز والطباع والمعتقدات والقيم التي تتشاركها الأغلبية في أية مجموعة بشرية قومية، ثم عرجنا على مفهوم العرب فهذه الكلمة أُطلقت على سكان شبه الجزيرة العربية والصحراء السورية قبل الإسلام، وأقدم ذكر لها كان في التراث الأشورية (حضارة بلاد الرافدين بالعراق حالياً) سنة 854 ق.م وحسب ذات التراث كان العرب من بدو الصحراء الذين يرعون الجمال، وخلال القرون الثمانية والعشرين التي تلت لم يتوقف الارتباط بين العرب والصحراء أبداً، وقد حصر العلماء العرب في من يتكلمون اللغة العربية، ونشؤوا في البلدان العربية، ويؤمنون بتعاليم النبي مُحَمَّد ﷺ، ويفتخرون بتراث الحضارة العربية وينتمون إلى أحد الشعوب العربية، ولأن المقال يتعلق بالفكر مالك بن نبي فقد عرضنا الجزء الذي نراه مهماً من حياته؛ فمفكرنا ولد سنة 1905 بقسنطينة وهي مدينة جزائرية، وسط مجتمع متخلف وفقير، وكان للتغيرات التي حدثت آنذاك أثرها على بن نبي، وبالموازاة مع التعلم في الكتاب فقد تلقى تعليماً في المدرسة الفرنسية ما جعل الأمر صعباً بالنسبة له مما دفعه للتغيب عن الكتاب، أما الدراسة في المدرسة الفرنسية فقد كان متفوقاً فيها على باقي زملائه، ويذكر بن نبي بأنه انتقل إلى باريس سنة 1930 مقررًا أن لا يعود إلى الورا، وأول معهد التحق به كان معهد الدراسات الشرقية وبعد ذلك قرر أن ينتسب إلى درجة مساعد مهندس ويذكر أن فترة دراسته في مدرسة اللاسلكي فيما بعد قد غيرت فكره جذرياً، إذ فتحت له باب عالم جديد يخضع فيه كل شيء إلى المقياس الدقيق للكم والكيف ويتسم فيه الفرد بميزات الضبط والملاحظة، وكانت هذه الخطوة الأولى التي يدخل فيها الحضارة الغربية، والدخول في مرحلة تحصيل العلم بلهفة، وبالرغم من وجود بن نبي في فرنسا لم ينسبه ذلك وطنه الجزائر فكان دائماً ما يعبر عن أفكاره الإصلاحية وأفكاره الوطنية وجهه بموقفه ضد الاستعمار، وفي سنة 1954 انتقل إلى القاهرة للمشاركة في ثورة التحرير، مما أتاح له إتقان اللغة العربية والمشاركة في العديد من اللقاءات العلمية في منزله بالقاهرة لشرح ونشر أفكاره ومؤلفاته، فكانت هذه المرحلة من حياته أكثر نشاطاً وتأليفاً، وفي تلك الفترة زار الكثير من الدول العربية مثل سوريا، لبنان والكويت لإلقاء محاضراته وللترويج لأفكاره، وبعد الاستقلال مباشرة وبالضبط في سنة 1963 عاد إلى الجزائر ليعين في وزارة التعليم العالي لكنه لم يلبث طويلاً في هذا المنصب ليتفرغ للعمل الفكري؛ حتى وفاته 31 أكتوبر 1973، ويمكن القول أن ثقافة بن نبي كانت في جزء منها غربي ذلك أنه قضى وقتاً غير يسير كتلميذ في المراحل الدراسية الأولى في الجزائر وفق المناهج الفرنسية أو كطالب في الدراسات العليا في فرنسا، أخذ معارفه وطريقة تفكيره وحتى نمط معيشتها منها؛ ولكنه لم ينساق وراء مرامي

هذه المناهج، بل طوع هذه الأدوات والمعارف باقتدار وإبداع لتخدم أفكاره ومشروعه الذي سعى إلى تجسيده في أرض الواقع، والذي تمثل في النهوض بالعالم العربي الإسلامي.

وليتسنى لنا إدراك فهم بن نبي كان لا بد لنا من الوقوف عند المنهج الذي وضعه واستند إليه ليشخص حالة العقل العربي، ولأجل ذلك تبني مالك بن نبي قواعد تفكير كلية تمكنه من تفسير الواقع الاجتماعي، أدوات منهجية غير معهودة لتفسير الواقع والتاريخ، تتمثل في النماذج الاجتماعية وهي وصف موجز وموضوعي لخصائص صنف من الأشخاص يستخدم كأداة تحليلية ويظهر النموذج الاجتماعي والذي هو بمنزلة نموذج مثالي من أجل تحليل السمات المميزة لنموذج معين من الأفراد، وبهذا يكون النموذج الاجتماعي العينة المثالية لمجموعته الثقافية، كما استعان بن نبي بما يسميه العوالم الثلاثة؛ عالم الأفكار، عالم الأشخاص وعالم الأشياء، وهي في الأساس ثلاث منظومات نظرية تتجلى في كل الظواهر الإنسانية والاجتماعية، ولكن لا يمكن فصلها إلا من الناحية النظرية.

بعد ذلك انتقلنا إلى المحور الأساسي لهذه المقالة والمتمثل في مفهوم بن نبي عن خصائص العقل العربي، وقدم مالك بن نبي من خلال كتاباته تحليلاً مفصلاً عن جوانب كثيرة في العقل العربي اقتصرنا على ثلاثة جوانب نراها مهمة، فخصصنا العنصر الأول لفهم مالك بن نبي للعقل العربي في جانبه الاجتماعي ولا سيما ما يتعلق بشبكة العلاقات بين أفراد المجتمع والتي تشكل بنائه الاجتماعي والثقافي، ولتوضيح ذلك أجرى مقارنة بين المجتمع العربي واليهودي، خلص في نهايتها إلى أن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء الاختلاف في الموقفين الجزائري اللافعال واليهودي الفعال هو أن المجتمع العربي يفتقد لشبكة من الاتصالات الاجتماعية؛ والعنصر الثاني يتمثل في فهم مالك بن نبي للعقل العربي في جانبه الثقافي إذ يرى أن هناك اختلال واضح في الحياة الثقافية في البلاد الإسلامية العربية، ويؤكد افتقارنا إلى أبسط الشروط الأساسية التي تقودنا إلى حركة ثقافية حقيقية، ويقرر واقع آخر وهو عدم وجود دفء إنساني يُشعر الكاتب بقيمته ودوره القيادي عبر جواب شكر يشجعه ويدفعه لأجل تنفيذ مهمته في المجتمع، فالتقدير المادي والمعنوي شرطان أساسيان للحياة الثقافية في أي مجتمع، أما العنصر الثالث فيتعلق بفهم مالك بن نبي للعقل العربي في جانبه الديني؛ ويعتقد بن نبي أن مشكلة العقل الأساسية في الوقت الحاضر لها صلة وثيقة بالجانب الديني؛ وتتمثل في تجريد العقيدة والإيمان القابل للقيام من جديد بإقامة الوحدة المعنوية للأمة العربية الإسلامية، ويجب أن يكون هذا التجديد مدعوم بالفعالية والقوة الحضارية والحيوية الاجتماعية، كما ويرى بن نبي أن الجهود الفكرية للمصلحين الدينيين والمضطلمين بالمهام الدينية اتسمت في معظمها بالجدال والدفاع، بدل أن تكون أفكارهم ملهمة ومحركة للوجدان نحو النهوض الحضاري.

وفي الأخير يقدم بن نبي من خلال تجربته داخل وخارج الوطن حلاً للخروج من تبعية الخارج في جانبها الروحي، يتمثل في استيعاب المسلم المعاصر لدوره الحقيقي ورسالته الأساسية وأن يغير نفسه من الداخل؛ ويقوم بتجديد حضارته فيرتقى إلى مصاف المجتمعات المتحضرة على غرار المجتمع الأوروبي، وبعد ذلك يُكمل هذا التحضر المادي بالبعد الروحي المتمثل في رسالة الإسلام، فترفع هذه الأخيرة الحضارة الإنسانية إلى قداسة الوجود وإلى الغاية الحقيقية المنشودة، وبهذا ينقذ المسلم نفسه والآخرين معه، ويضيف بن نبي أن على المسلم أن يحمل رسالة الإسلام العالمية بشرط أن يضطلع

بهذه المهمة ذوي الهمم العالية والضمائر الحية، وفي مستوى آخر تطرقنا إلى رؤية بن نبي لعقل الشباب العربي الذي أصبح متعوداً ومتأثراً فكرياً بالثقافة الغربية، ولا شك أن تأثير دراسات المستشرقين على الفكر الديني لدى شبابنا الجامعي واستشهادهم بالمصادر الغربية حتى فيما يخص معارفه الإسلامية وولعهم بالمنهج الوضعي الديكارتي؛ أكبر دليل على رؤية مالك بن نبي، ويحذر بن نبي من خطر الاستشراق لتأثيره الكبير على العقل العربي لأنه لا يقتصر على الجانب العلمي، فالمتعمق في كتابات المتخصصين الأوربيين التي تتناول الدراسات الإسلامية يستطيع بكل أسف أن يكشف الصبغة السياسية والدينية لديهم على الرغم من أنها تظهر بمظهر المحلل والمدقق الحريص على إظهار الحقيقة.

ولذلك فإن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره لا يمكنه على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه، ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه ولا يمكن لمجتمع في عهد التشييد أن ينهض بالأفكار المستوردة أو المسلطة عليه من الخارج سواء كانت تمت إلى الاستشراق أو الشيوعية، لذلك لا بد من أن نكتسب خبرتنا عبر تحديد موضوعات تأملنا وألا نسلم بأن تحدد لنا، ولا يكون ذلك إلا باستعادة أصالتنا الفكرية واستقلالنا الفكري لنصل إلى الاستقلال الاقتصادي والاستقلال السياسي (بن نبي، 1969، صفحة 48).

9. قائمة المراجع:

إسلام ويب. (24 08، 2009). عالم الأفكار وعالم الأشخاص. تم الاسترداد من <https://www.islamweb.net/ar/article/153522/%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85->

[-D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%81%D9%83%D8%A7%D8%B1-%D9%88%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B4%D8%AE%D8%A7%D8%B5](https://www.islamweb.net/ar/article/153522/%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%81%D9%83%D8%A7%D8%B1-%D9%88%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B4%D8%AE%D8%A7%D8%B5)

العويسي بن حمد عبد الله. (2012). مالك بن نبي؛ حياته وفكره. بيروت، لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

رافائيل باتاي. (2009). العقل العربي. (علي الحارس، المحرر) القاهرة، مصر.

سامح عودة. (2018). مالك بن نبي.. الجزائري الذي وضع خطة نهوض للأمة. تم الاسترداد من الجزيرة نت.

فوزية برون. (2010). مالك بن نبي، عصره وحياته ونظريته في الحضارة. دمشق، سوريا.

كامل عمران. (2011). النموذج الاجتماعي؛ مشكلاته ومصادره. مجلة جامعة دمشق، 27 (43).

كمال أعراب. (2015). أثر الفكرة الدينية في النهضة الحضارية عند مالك بن نبي (مذكرة ماجستير). كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر: جامعة الجزائر 2.

مالك بن نبي. (1969). إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار الإرشاد.

- مالك بن نبي. (1948). مذكرات شاهد للقرن (المجلد 2). دمشق، سوريا: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
- مالك بن نبي. (2000). مشكلات الحضارة؛ الظاهرة القرآنية (المجلد 4). دمشق، سوريا: دار الفكر.
- مالك بن نبي. (2002). مشكلات الحضارة؛ تأملات. بيروت، لبنان.
- مالك بن نبي. (2002). مشكلات الحضارة؛ مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي. دمشق، سوريا: دار الفكر.
- مالك بن نبي. (1992). مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي (المجلد 1). (بسام بركة، و أحمد شعبو، المترجمون) الجزائر العاصمة، الجزائر.